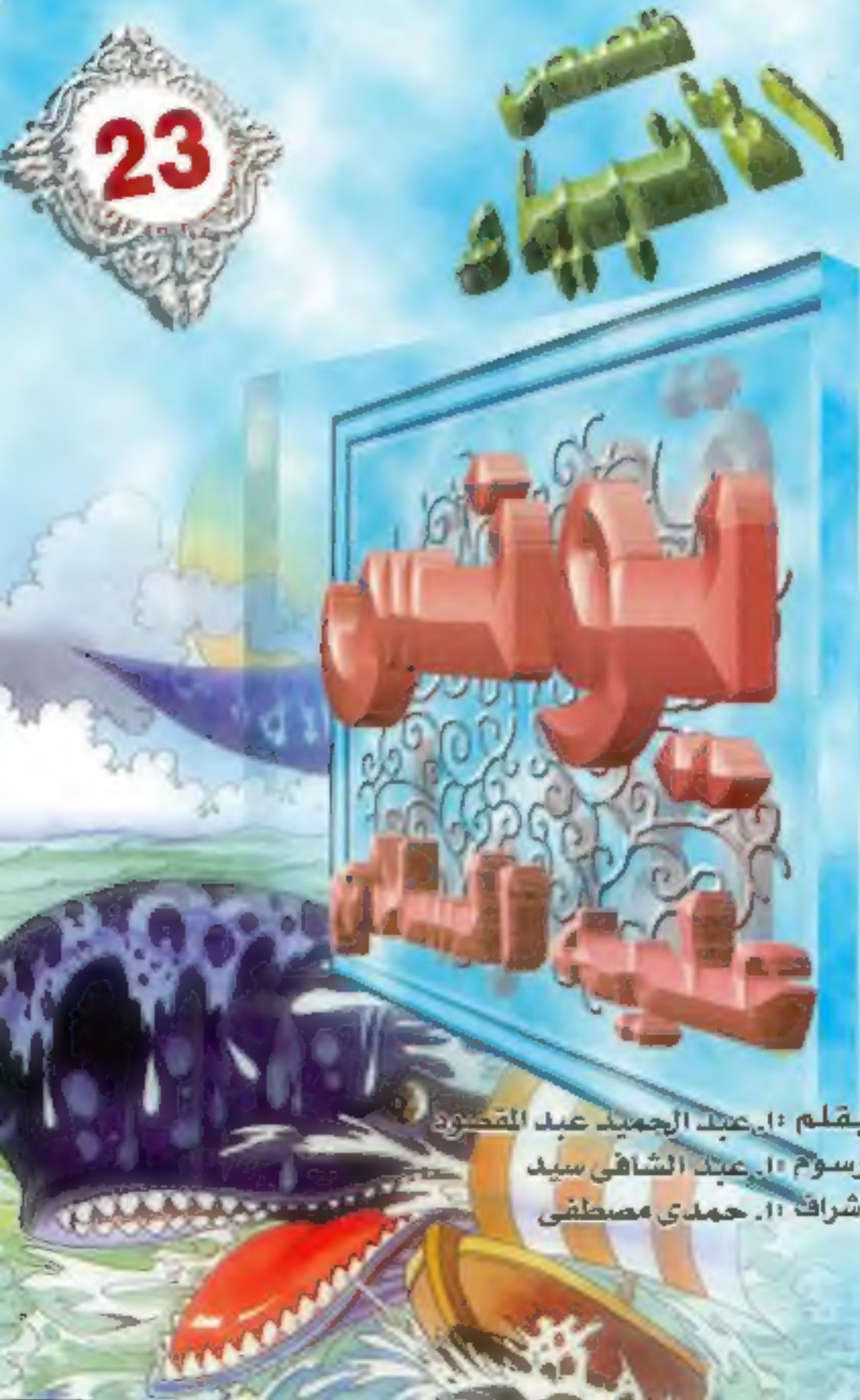


23



بِقَلْمِ: إِنْجِيْنِيُّورْ عَبْدِ الرَّحْمَنْ عَبْدِ الْمُكْتَبْ

رَسْوُمِ: إِنْجِيْنِيُّورْ شَافِيْ سَيْدْ

إِشْرَافِ: إِنْجِيْنِيُّورْ حَمْدَى مُصْطَفَى



ذُو الثُّوْن .. أو يُونَان .. أو يُونُسَ بْنُ مَتَّى .. هَذِهِ
كُلُّهَا أَسْمَاءُ لَبِّيٍّ وَاحِدٍ ، هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - نَبِيَّهُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمٍ ،
فَأَخْذَ يَدْعُوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ..
وَظَلَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوْ قَوْمَهُ مَدَّةً مِنَ الزَّمْنِ يَعْلَمُهَا
اللَّهُ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ ..
وَشَعَرَ نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْيَأسِ مِنْ هُدَايَةِ قَوْمِهِ ،

وامتنأ قلبه بالغضب عليهم ، لعدم إيمانهم بالله ..
كيف يكون نبيا ، ولا يؤمن به أحد؟!
هل هونبي بلا أتباع أو مؤمنين؟!
وربما راحت الأسئلة تتدافع في رأسه ، حتى صاق
صدره بعناد قومه وتكذيبهم ..
وذات يوم فرر يونس عليه السلام أمرا خطيرا .. فرر أن
يهجر فريته ، ويسافر إلى بلد آخر ، تاركا قومه
يتخبطون في ظلمات الجهل والكفر والضلال ..
وما يعبدون من دون الله تعالى ..
ولم يكن الأمر الإلهي قد صدر من الله - تعالى - إلى
يونس عليه السلام بأن يترك قومه ، ويرحل عنهم ، يأسا من هدايتهم ..
ظن يونس عليه السلام في ثورة غضبه أن الله - تعالى - لن
يقدر عليه عقوبة ، لأنّه ترك قومه ورحل عنهم يأسا
من هدايتهم ..

نسى يونس عليه السلام في ثورة غضبه ، أنّ على النبي

أَنْ يَتَابِرَ ، وَيَصْبِرْ عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِهِ .. أَمَّا أَنْ
يُؤْمِنُوا ، أَوْ لَا يُؤْمِنُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِيَدِهِ هُوَ ، لَأَنَّ
اللَّهُ وَحْدَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا
عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ..

وَهَكُذا رَحِلَ يُونُسُ عليه السلام تَارِكًا قَوْمَهُ ..
ذَهَبَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، لِيَرْكِبْ سَفِينَةً تَقْلُهُ بَعِيدًا
عَنْ بَلْدَهُ .. لَمْ يَكُنْ يَدْرِي إِلَى أَيْ جَهَةٍ سَيَذْهَبُ ، وَفِي
أَيْ بَلْدَ مُسْتَقْرِرٍ .. كَانَ كُلُّ هَدْفَهُ أَنْ يَتَعَدَّ عَنْ قَوْمَهُ ..
رَأَى سَفِينَةً رَكَابًا مَمْلُوَّةً بِالْمُسَافِرِينَ ، فَرَكِبَ
فِيهَا ، وَسَارَتْ بِهِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ ..

وَبِرَغْمِ ضيقِ يُونُسُ عليه السلام وَغُصْبِهِ ، فَقَدْ كَانَ سَعِيدًا
بِالرَّحِيلِ عَنْ هَذِهِ الْقُرْيَةِ الَّتِي لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَهْلُهَا ..
وَمَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الْوَقْتِ ، وَالسَّفِينَةُ فِي عَرْضِ
الْبَحْرِ ، حِيثُ كُلُّ شَيْءٍ يُسِيرُ عَلَى مَا يَرَامُ ، فَالْبَحْرُ
هَادِيُّ وَالسَّمَاءُ صَافِيَّةٌ ، وَلَا شَيْءٌ يُنَذِّرُ بِالْخَطَرِ ..

ولكن فجأةً تغير كلُّ شيءٍ.. هبت عاصفةٌ
صاخبةٌ.. ارتفعت الأمواجُ.. ثار البحرُ غاضبًا..
تمايلت السفينةُ بقوّةٍ ، وكادت تقلبُ وتغرقُ ..
وبدأت المياه تغمر سطح السفينة، فصاح ريانُ

السفينة :

ـ إننا نتعرّضُ لخطر الغرق والهلاك في
البحر.. السفينة تكاد أن تغرق.. لابد أن
نخفّف من الأحمال الثقيلة ، حتى يخفّ
وزن المركب..



وتحفَّفَ الرَّكَابُ مِنْ أَحْمَالِهِمْ بِالْقَائِهَا فِي الْبَحْرِ ،
وَلَكِنَّ الْمَرْكَبَ ظَلَّ يَتَسَاهِلُ ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِعُونَ
السُّيُّطَرَةَ عَلَيْهِ ..

فَصَاحَ الرَّبَّانُ مُتَعْجِباً :

- لَقَدْ خَفَّفَنَا حَمْلُ الْمَرْكَبِ إِلَى أَقْلَمَ مَا يُمْكِنُ
الْتَّخْفِفُ مِنْهُ .. هَذِهِ ظَاهِرَةٌ غَرِيبَةٌ لَمْ تَعْدُثُ مِنْ
قَبْلٍ .. لَمْ أَرْ شَيْئاً كَهَذَا فِي رَحْلَاتِي الطَّوِيلَةِ عَبْرِ
السَّيْنَ وَالْأَيَّامِ ..

فَتَسَاءَلَ أَحَدُ الرَّكَابِ :

- مَاذَا تَعْنِي بِسَوْلُكِ هَذَا أَيُّهَا الرَّبَّانُ ؟ !

فَقَالَ الرَّبَّانُ :

- لَا بُدَّ أَنَّ هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ لَنَا هُوَ عَذْبٌ وَانتِقامٌ
مِنَ اللَّهِ ..

فَصَاحَ أَحَدُ الرَّكَابِ :

- نَعَمْ .. نَعَمْ .. لَا بُدَّ أَنَّ عَلَى ظَهُورِ هَذِهِ السُّفِينَةِ

رُجُلًا خاطئًا .. رُجُلًا أغضبَ اللَّهَ - تَعَالَى - وَلَذِلْكَ
فَتَحْنُّ نَتَعَرَّضُ جَمِيعًا لِلْهَلاَكِ بِسَبِيلِهِ ..
فَتَسْأَلُ أَحَدُ الرُّكَابِ :

- وَكَيْفَ نَتَصْرُفُ ، لَكِنْ نَجُو جَمِيعًا مِنَ الْخَطَرِ ؟
فَأَجَابَ الرَّبِّيَانُ :

- نَتَخَلَّصُ مِنْ هَذَا الْخَاطِئِ ، الَّذِي أَغْضَبَ اللَّهَ
تَعَالَى ..

فَتَسْأَلُ أَحَدُهُمْ :

- وَكَيْفَ نَعْرِفُ هَذَا الشَّخْصَ الْخَاطِئِ ، الَّذِي
نَتَعَرَّضُ لِلْهَلاَكِ بِسَبِيلِهِ ؟
فَأَجَابَ الرَّبِّيَانُ :

- سَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ افْتِرَاعٍ ، وَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ ،
يَكُونُ هُوَ الشَّخْصُ الْمُطَلُوبُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ ..
وَوَافَقَ جَمِيعُ الرُّكَابِ عَلَى إِجْرَاءِ الْقُرْعَةِ ..
وَبَدَا الرَّبِّيَانُ يَجْرِي عَمَلِيَّةَ الْافْتِرَاعِ .. كَتَبَ أَسْمَاءَ

جميع الأشخاص الموجودين على ظهر المركب ..
ومن بينها اسم يُونس ..
وتمت عملية سحب القرعة ، فوُقعت القرعة على
يُونس ، وأعيدت القرعة للمرة الثانية والثالثة ،
وفي كل مرة يخرج اسم يُونس ..
وهكذا عرف الجميع أن يُونس هو الشخص
المطلوب أن يُغادر المركب ..
ولكن كيف يُغادر يُونس المركب ، وهم في
عرض البحر !؟

لم يكن هناك اختبار سوى أن يلقي يُونس بنفسه في البحر .. هنا فقط أدرك يُونس أنه أخطأ في
حق قومه حين تركهم ، ورحل عنهم يأسا من
إصلاحهم وإيمانهم .

هنا فقط أدرك يُونس أنه لم يكن على حق حين
ذهب غاضبا ، وظن أن الله - تعالى - لن يُقدر عليه
عقوبة ، لأنه ترك قومه ورحل ..

أَيْقَنَ يُونُسُ عليه السلام أَنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ، عَلَى
تَرَعُّهِ بِالرُّحْيَلِ عَنْ قَوْمِهِ..
كَانَ الْوَقْتُ لِيَلَّا.. وَكَانَ الدُّنْيَا
ظَلَاماً.. وَكَانَ الْجَوْعُ قَاسِيًّا، وَالْبَرُودُ
قَارِصَةً.. وَكَانَ عَلَى يُونُسَ عليه السلام أَدْ
يْنَفِذُ الْأَمْرَ، وَيَقْفَرُ فِي الْمَيَاهِ.

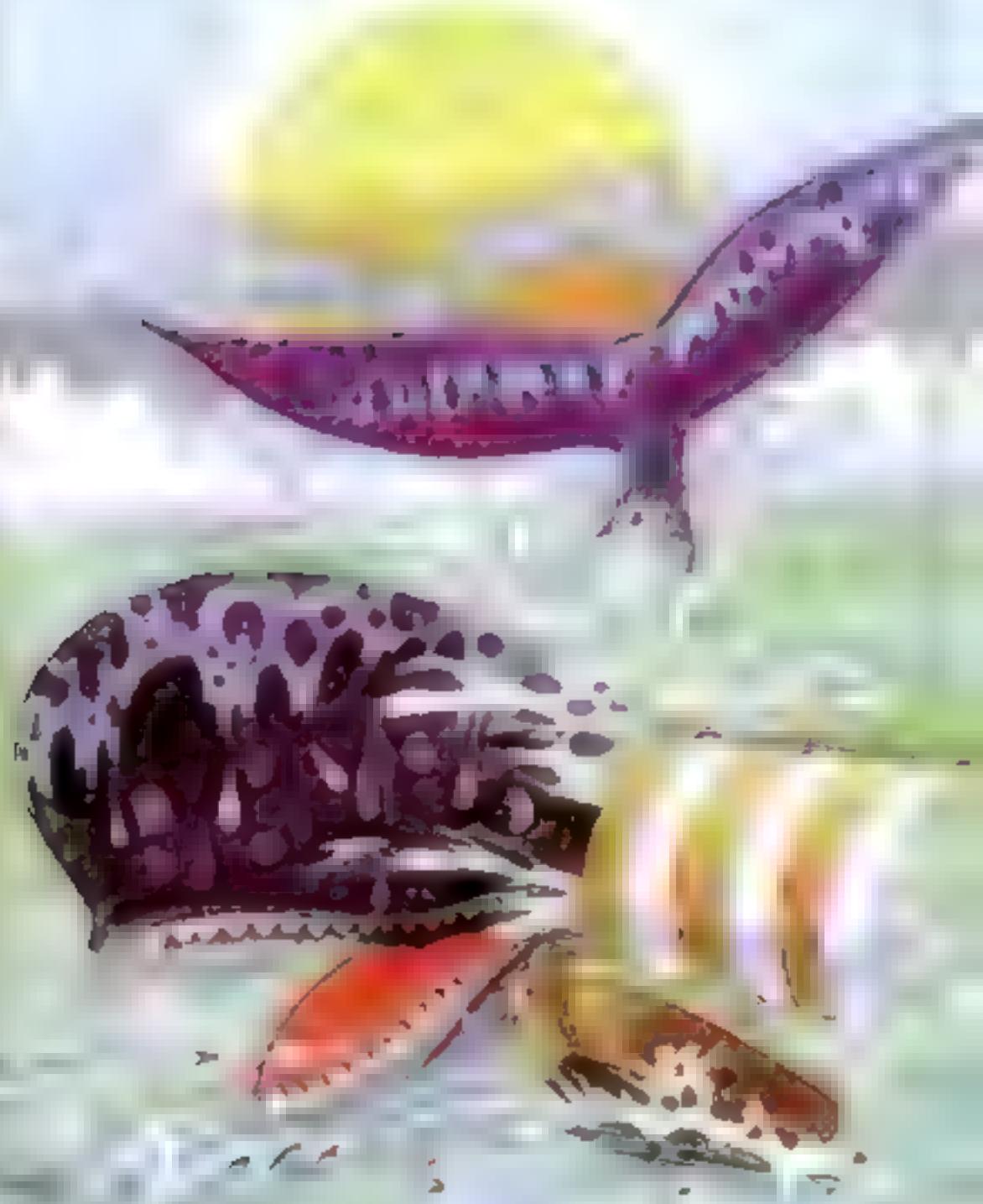


وألقى يُونس عليه السلام بنفسه في مياه البحر تاركاً
أمره إلى الله - تعالى - وراح يسبح ، وهو لا يدرى في
أى اتجاه ، ولا إلى أى هدف يسبح ..
أما المركب ، فقد عاد إلى توازنه ، مواصلًا رحلته
في سلام ..
لكن ما حدث لنبى الله يُونس عليه السلام بعد ذلك فقد
كان مفاجأة لم يتوقع حدوثها أو حتى تخطر له
على بال ..

فجأة وجد يُونس عليه السلام نفسه أمام حوت عظيم .. حوت
أرسله الله - تعالى - وسخره لأداء رسالة معينة ، هي
ابتلاع يُونس عليه السلام ..

فتح الحوت فمه الواسع ، وقيل أن نبى يُونس عليه السلام
لشىء ، كان الحوت قد ابتلعه ، وأطبق فمه عليه بسرعة ..
وغاص الحوت إلى أعماق المياه الداكنة ، حيث
الظلام يشتد ويشتد ..

ولم يكن الحوت يقصدني الله يُونس عليه شرًا ،
فقد أوحى الله - تعالى - إليه ألا يؤذى يُونس ..



وفي قاع البحر وجد يوئس نفسه محاطاً
بظلمات ثلاث بعضها فوق بعض .. وهي ظلمة حوف
الحوت ، وظلمة مياه الأعماق ، وظلمة الليل ..
وتقى يوئس في سخنه داخل حوف الحوت ،
وداخل الظلمات الثلاث أنه قد ظلم نفسه وظلم قومه ،
حين تركهم ورحل يائساً من هدايتهم ..
وبدأ يوئس يسبح ربه ، ونادى يوئس ربَّه قائلاً:
﴿لا إله إلا أنت سَاحِلْتَ إِنِّي كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
وطلَّ يوئس يسبح الله بهذا الشُّبيح فترة
يعلمها الله وحده .. قال بعضهم . إنه ظلَّ يسبح الله
في بطن الحوت ثلاثة أيام . وقال بعضهم : بل سبعة
أيام ، والله وحده يعلم ذلك ..
المهم أن يوئس في أثناء تواجده في بطن
الحوت كان يسبح الله ، ويستعفِّر ، معترفاً بظلمه
لنفسه وطالباً من الله لطفه ورحمته به ..

واستجابة الله - تعالى - دعاء نبیه
یونس عليه السلام فاوحى إلى الحوت أن
يصعد به إلى سطح الماء ، وأن يقذف
یونس من جوفه ، قریبا من شاطئ
البحر . فللبی الحوت أمر ربه ، وصعد
إلى سطح الماء ، مقتربا من البر ،
وقدف یونس عليه السلام ..

وَجَدَ يُونُسَ نَفْسَهُ عَلَى الْبَرِّ وَحِدًا .. وَكَانَ يَشْعُرُ
بِالجُوعِ وَالْبَرْدِ ..

وَكَانَ فِي جَسْمِهِ بَعْضُ الْجُرُوحِ وَالْقُرُوحِ مِنْ أَثْرِ
نُوْفِ الْحُوتِ ، وَكَانَتْ حِرَارَةُ الشَّمْسِ تُسْبِبُ لَهُ أَلْمًا ،
فَأَنْبَتَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى يُونُسَ شَجَرَةً مِنْ « يَقْطَنْ »
وَهُوَ نَبَاتٌ عَرِيقٌ الْأَوْرَاقِ ، يُشَبِّهُ نَبَاتَ الْفَرْعَ .. فَكَانَ يُونُسَ
يَسْتَظِلُّ بِهَذَا النَّبَاتِ مِنْ حِرَارَةِ الشَّمْسِ وَبِرْدِ اللَّيْلِ ،
وَيَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهِ .. حَتَّى شَفَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَعَافَاهُ ..
ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - يُونُسَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ عَدْهُمْ
يُزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ ، فَمَاذَا وَجَدَ يُونُسَ مِنْ قَوْمِهِ ؟ !
لَقَدْ وَجَدَ شَيْئًا عَجِيْمًا .. الْقَوْمُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْهُمْ
غَاضِبًا لِعَدْمِ إِيمَانِهِمْ ، وَجَدُوهُمْ مُؤْمِنِينَ ..
لَقَدْ آمَنَ قَوْمُ يُونُسَ بِهِ بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنْهُمْ يَأْسًا مِنْهُمْ ،
وَحَزَنُوا لِرَحِيلِهِ ..

وَبِهَذَا لَقَنَ اللَّهُ نَبِيَّهُ يُونُسَ هَذَا الدُّرْسَ ، حِينَ
أَوْحَى إِلَى الْحُوتِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فِي جَوْفِهِ ..

فما كان ليؤنس أن يتسرع ، وأن يترك قومه ويخرج
عاصبا منهم ، ويائسا من هدايتهم .. ولو أتاه انتظر
قليلا وصبر عليهم ، لرأى إيمانهم ..



قال تعالى :

﴿ وَذَا الْئُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَطَمَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرُ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُمَّ
وَكَذَلِكَ نَجْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(تَمَّ)

قصص الأنبياء

الكتاب التالي

مؤسس عليه السلام

(١) النبوة

أدوات علم اكتشافه